المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

أنماز الإسلام عن غيره من الأديان بأنه أحرص الأديان على تحقيق مصالح العباد وإسعادهم، فالدين الإسلامي يُسْرٌ في عقائده وأحكامه وفي أوامره ونواهيه ، ورفع الأغلال عن كاهل العباد ، وقضى بتعاليمه الربانية السمحة على كل ما كان يعانيه الناس من ظلم وذل فأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة ، فجاءت أحكامه وتشريعاته تتميز بالتيسير والسماحة والسعة ، حيث إن عقيدته لا تقوم على فلسفة معقدة أو تسليم مطلق أو مخالفة للفطرة والعقل، فلا تكاد تخلو فريضة من الفرائض ولا شعيرة من الشعائر إلا وقد أضفى الله -ﷻ- عليها من اليسر ما يجعل الإنسان قادرًا على تطبيقها والقيام بها على الصورة التي أرادها الله-ﷻ- ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا أفضل رد على من يدعون أن الإسلام دين دموي وإرهابي عنيف ، يصادر الحريات ولا يقبل من الناس إلا أن يُسلْمَوُا أو يُقْتَلوا.

لذا تكمن أهمية هذه الدراسة في التدليل والبرهنة على سماحة الإسلام ويسره في كافة مناحي الحياة ، حيث تنتظم هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد ، يليها أربعة مباحث ، ثم خاتمة متضمنة أهم النتائج وفهرس للمصادر والمراجع.

- المقدمة: وقد تناولت فيها هدف البحث وغايته بالإضافة إلى هيكلية البحث وتقسيماته.

- أما التمهيد: فيتناول الوقوف على حد اليسر والسماحة وفوائدهما.

- المبحث الأول: وتناولت فيه أدلة اليسر والسماحة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

- المبحث الثاني : ويدرس بعض مظاهر تيسير الإسلام سماحته.

- المبحث الثالث: وتناولت فيه صور من سماحة الإسلام ويسره في التعامل مع غير المسلمين.

- المبحث الرابع : ويشتمل على رؤى غربية منصفة لسماحة الإسلام ويسره .

أمثال (ول ديورانت - زيغريد هونكه - غوستاف لبون- توماس آرنولد)

- الخاتمة: وقد تضمنت أهم نتائج البحث. ثم ثُبت بأهم مصادر البحث ومراجعه.

التمهيد:

-معنى اليسر والسماحة .

أ- اليسر لغة:

اليُسْرُ: اللِّينُ والانقياد ضدُّ العُسْرِ. وَتَيَسَّرَ واسْتَيْسَرَ: تَسَهَّلَ، ويَسَّرَهُ: سَهَّلَهُ، يكونُ في الخَيْرِ والشَّرِّ. والمَيْسورُ: ما يُسِّرَ(١)

اليسر اصطلاحًا:

هو عمل لا يجهد النّفس ولا يثقل الجسم(٢)

السماحة لغة : السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة (٣).

السماحة اصطلاحاً: هي بذل ما لا يجب تفضّلا(٤)

وقيل هي التّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها الّتي تتجلّى في التّيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين الّتي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الدّيانات الأخرى.(٥)

ومن التعريفات السابقة يمكن القول إن السماحة واليسر عملان فيهما لين وسهولة وانقياد ورفع الحرج .

من فوائد السماحة واليسر(٦)

أولاً- فوائد السماحة:

١- يحبّها الله ورسوله والملائكة المقرّبون.

٢- يضفيها الله على وجوه المؤمنين لتكون لهم علامة مميّزة في الدّنيا والآخرة.

٣- السّمح محبوب لدى أهله ومجتمعه.

٤- السّماحة في البيع والشّراء باب عظيم من أبواب كسب الرّزق وتكثيره.

٥- السّماحة تجلب التّيسير في الأمور كلّها.

---

١ - لسان العرب ٢٩٥/٥؛ والقاموس المحيط ٤٩٥٨/٦

٢ - التعريفات ص١٢٧

٣ - معجم مقاييس اللغة ، ٩٩/٣

٤ - التعريفات ، ص١٢٧

٥ - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم ٦/ ٢٢٨٨.

٦ - المرجع السابق ٢٣٠٠/٦

٦- بالسّماحة يغنم الإنسان أكبر قدر من السّعادة وهناءة العيش.

٧- السّماحة في التّعامل مع أصحاب الدّيانات الأخرى تجلب لهم الطّمأنينة والأمن فيؤدّي ذلك إلى حبّهم للمتسامحين معهم ومعاونتهم ثمّ الدّخول في هذا الدّين الّذي يقرّ مبدأ التّسامح مع الآخرين .

ثانياً- فوائد اليسر: [١]

١- القيام بأوامر الله تعالى كاملة.

٢- سمة ظاهرة في الدّين تتجلّى في عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه.

٣- يجلب معونة الله للعبد.

٤- الرّجل السّهل يحبّه الخلق لما يبذله لهم.

٥- المداومة على الأمر والقدرة على الاستمرار وعدم الانقطاع.

٦- من يسّر أمور النّاس يسّر الله له أموره.

٧- من اختار الأيسر- ما لم يكن إثما- فهو متّبع لسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

---

[١] - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم ١٤١٩/٤

المبحث الأول

أدلة اليسر والسماحة من القرآن الكريم والحديث الشريف

لقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على سماحة الإسلام ويسره، وسأكتفي هنا بذكر البعض منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً- الأدلة من القرآن الكريم :

هناك آيات كثيرة أفادت بصريح اللفظ أو دلالته على سماحة الإسلام ويسره ويمكن تقسيمها إلى:

أ- بعض الآيات المصرحة باليسر والتخفيف:

- قال تعالى:﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، قال القرطبي:" لَمَّا حكم -ﷺ- لِأَرْبَابِ الرِّبَا بِرُءُوسِ أَمْوَالِهِمْ عِنْدَ الْوَاجِدِينَ لِلْمَالِ، حَكَمَ فِي ذِي الْعُسْرَةِ بِالنَّظِرَةِ إِلَى حَالِ الْمَيْسَرَةِ"[2]

- قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[3] قال القاسمي أي تشريع السهولة بالترخيص للمريض والمسافر، وبقصر الصوم على شهر وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ في جعله عزيمة على الكلّ، وزيادته على شهر.[4]

- قال تعالى:﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [5]، قال ابن كثير:" نُسَهِّلُ عَلَيْكَ أَفْعَالَ الْخَيْرِ وَأَقْوَالَهُ، وَنُشَرِّعُ لَكَ شَرْعًا سَهْلًا سَمْحًا مُسْتَقِيمًا عَدْلًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا حَرَجَ وَلَا عُسْرَ."[6]

- قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[7]، قال ابن كثير: "أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ -ﷺ-

---

[1] - البقرة ٢٨٠ .

[2] - الجامع لأحكام القرآن ٣٧١/٣

[3] - البقرة ١٨٥

[4] - محاسن التأويل٢٦/٢

[5] - الأعلى ٨

[6] - تفسير القرآن العظيم ٣٨٠/٨

[7] - الشرح ٥-٦.

يَوْمًا مَسْرُورًا فَرِحًا وَهُوَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: "لَنْ يَغْلِب عُسْر يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"[1].

ب- بعض الآيات التي جاء فيها لفظ (الحرج):

- قال تعالى:﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[2]، قال ابن كثير:" مَا كَلَّفَكُمْ مَا لَا تُطِيقُونَ، وَمَا أَلْزَمَكُمْ بِشَيْءٍ فَشَقَ عَلَيْكُمْ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا[3]

- قال تعالى:﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[4]، قال الطبري:" ليس على الأعمى منكم أيها الناس ضيق، ولا على الأعرج ضيق، ولا على المريض ضيق أن يتخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين، وشهود الحرب معهم إذا هم لقوا عدوّهم، للعلل التي بهم، والأسباب التي تمنعهم من شهودها."[5]

ج- بعض الآيات التي جاء فيها لفظ (التخفيف):

- قال تعالى:﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[6]، يقول محمد الطاهر بن بن عاشور:" اللَّهَ لَا يَزَالُ مُرَاعِيًا رِفْقَهُ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَإِرَادَتِهِ بِهَا الْيُسْرَ دُونَ الْعُسْرِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَذَا الدِّينَ بَيَّنَ حِفْظَ الْمَصَالِحِ وَدَرْءَ الْمَفَاسِدِ، فِي أَيْسَرِ كَيْفِيَّةٍ وَأَرْفَقِهَا، فَرُبَّمَا أَلْغَتِ الشَّرِيعَةُ بَعْضَ الْمَفَاسِدِ إِذَا كَانَ فِي الْحَمْلِ عَلَى تَرْكِهَا مَشَقَّةٌ أَوْ تَعْطِيلُ مَصْلَحَةٍ، كَمَا أَلْغَتْ مَفَاسِدَ نِكَاحِ الْإِمَاءِ نَظَرًا لِلْمَشَقَّةِ عَلَى غَيْرِ ذِي الطَّوْلِ"[7]

- قال تعالى:﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[8]

---

[1] - شعب الإيمان، حديث رقم١٠٠١٣ ، انظر : تفسير القرآن العظيم ٤٣١/٨

[2] - الحج ٧٨.

[3] - تفسير القرآن العظيم ٤٥٥/٥

[4] - الفتح ١٧ .

[5] - جامع البيان في تأويل القرآن٢٢٢/٢٢

[6] - النساء ٢٨ .

[7] - التحرير والتنوير ٢٢/٥

[8] - الأنفال ٦٦ .

يقول الله –عز وجل– : لقد فرضنا عليكم– أيها المؤمنون– أول الأمر أن يثبت الواحد منكم أمام عشرة من الكافرين.. والآن وبعد أن شق عليكم الاستمرار على ذلك، ولم تبق هناك ضرورة لدوام هذا الحكم لكثرة عددكم.. شرعنا لكم التخفيف رحمة بكم، ورعاية لأحوالكم، فأوجبنا عليكم أن يثبت الواحد منكم أمام اثنين من أعدائكم بدلا من عشرة، وبشرناكم بأنه إن يوجد منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من أعدائكم، وإن يوجد منكم ألف يغلبوا ألفين منهم بإذن الله وتيسيره وتأييده.[١]

د– بعض الآيات التي جاء فيها النهي عن الغلو:

– قال تعالى:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٢]

قال المراغي:" دلّنا دلالة تصحبها من لدنك معونة غيبية تحفظنا بها من الوقوع في الخطأ والضلال... وهو جملة ما يوصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة من عقائد وأحكام وآداب وتشريع ديني"[٣]

– قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[٤]

قال ابن كثير:" أَيْ: لَيْسُوا بِمُبَذِّرِينَ فِي إِنْفَاقِهِمْ فَيَصْرِفُونَ فَوْقَ الْحَاجَةِ، وَلَا بُخَلَاءَ عَلَى أَهْلِيهِم فَيُقَصِّرُونَ فِي حَقِّهِمْ فَلَا يَكْفُونَهُمْ، بَلْ عَدْلا خِيَارًا، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا، لَا هَذَا وَلَا هَذَا"[٥]

– قال تعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٦] قال فخر الدين الرازي:" لَا تَجْعَلْ يَدَكَ فِي انْقِبَاضِهَا كَالْمَغْلُولَةِ الْمَمْنُوعَةِ مِنَ الِانْبِسَاطِ: وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ أَيْ وَلَا تَتَوَسَّعْ فِي الْإِنْفَاق تَوَسُّعًا مُفْرِطًا بِحَيْثُ لَا يَبْقَى

---

[١] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٥٢/٦

[٢] –الفاتحة ٦ – ٧

[٣] – تفسير المراغي ٣٧/١

[٤] – الفرقان ٦٧

[٥] – تفسير القرآن العظيم ١٢٣/٦–١٢٤

[٦] – الإسراء ٢٩

فِي يَدِكَ .. فَالْبُخْلُ إِفْرَاطٌ فِي الْإِمْسَاكِ، وَالتَّبْذِيرُ إِفْرَاطٌ فِي الْإِنْفَاق وَهُمَا مَذْمُومَانِ، وَالْخُلُقُ الْفَاضِلُ هُوَ الْعَدْلُ وَالْوَسَطُ "[1]

هـ- بعض الآيات التي جاء فيها لفظ (نفي الجراح)

- قال تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[2] ، أي: لا إثم ولا حرج عليكم في أن تطلبوا رزقا حلالا ومالا طيبا عن طريق التجارة أو غيرها من وسائل الكسب المشروعة في موسم الحج[3]

- قال تعالى:﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[4]،أي يا أيها الذين آمنوا إذا إذا سرتم في الأرض وسافرتم فيها لقصد الهجرة أو للحرب أو التجارة فليس عليكم جناح ولا إثم في قصر الصلاة الرباعية، وهذه صلاة السفر المسماة في كتب الفقه بصلاة القصر، وذلك أن السفر شدة ومشقة رخص الشارع فيها قصر الصلاة[5].

ثانياً – الأدلة من الحديث الشريف :

إن الأحاديث الواردة في يسر الإسلام وسماحته كثيرة ويمكن تقسيمها إلى:

أ- الأحاديث المصرحة بيسر الدين وسماحته، ومنها :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"[6]

٢- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنِ الْأَعْرَابِيِّ، الَّذِي سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ:" إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ "[7].

---

[1] – مفاتيح الغيب ٣٢٩/٢٠

[2] – البقرة ١٩٨.

[3] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم٤٣٠/١

[4] – النساء ١٠١ .

[5] – التفسير الواضح ٤٢٠/١ ؛ التفسير الوسيط للزحيلي٣٧١/١

[6] – البخاري في ، باب الدين يسر، حديث رقم٣٩

[7] – مسند أحمد بن حنبل، باب حَدِيثُ أَعْرَابِيٍّ، حديث رقم ١٥٩٣٦

٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ- فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ... إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا"[١].

٤- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فَقَالَ: "إِنَّ اللهَ -ﷻ- أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، أَلَا إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ، وَسَنَّ سننًا، وَحَدَّ حُدُودًا، أَحَلَّ حَلَالًا، وَحَرَّمَ حَرَامًا، وشَرَعَ الدِّينَ، فَجَعَلَهُ سَهْلًا سَمْحًا وَاسِعًا وَلَمْ يَجْعَلْهُ ضَيِّقًا، أَلَا إِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ..."[٢].

٥- عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ -ﷺ- : "دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"[٣].

ب- الأحاديث الآمرة بالتيسير والناهية عن التشديد ، ومنها :

١- حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا:" يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا"[٤].

٢- وَعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : "يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا"[٥].

٣- وَعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :"إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ"[٦] .

---

[١] – صحيح مسلم ، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية ،حديث رقم ١٤٧٨ .

[٢] – الطبراني ، المعجم الكبير ٢١٣/١١ – حديث رقم ١١٥٣٢.

[٣] – صحيح البخاري ، بَابُ صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ، حديث رقم ٢٢٠

[٤] –صحيح البخاري ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلاَفِ فِي الحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ، حديث رقم٣٠٣٨ ؛ صحيح مسلم ، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ، حديث رقم ١٧٣٣

[٥] – صحيح البخاري ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا»، حديث رقم ٦١٢٥؛ صحيح
مسلم ، باب بشروا ولا تنفروا، حديث رقم ٤٥٤٩

[٦] – مسند الإمام أحمد ٣ / ١٩٩ حديث رقم ١٣٠٥٢.

٤- وَعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -ﷺ- ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ -ﷺ- فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[١]

٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: " عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ " [٢].

ج-الأحاديث الدالة على التزام النبي-ﷺ- اليسر في أموره، وتيسيره على أمته:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ -ﷺ- ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ:" ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ"[٣] .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ :"لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ عَلَى أُمَّتِي - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ"[٤] .

٣- عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا"[١]

---

[١] - صحيح البخاري ، باب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، حديث رقم ٥٠٦٣

[٢] - مسند الإمام أحمد ١/ ٢٣٩ حديث رقم ٢١٣٦.

[٣] - صحيح مسلم ، باب فرض الحج مرة في العمر ، حديث رقم ١٣٣٧ .

[٤]- صحيح مسلم باب السواك حديث رقم ٢٥٢؛ السنن الكبرى للنسائي، باب الرُّخْصَةُ فِي السِّوَاكِ بِالْعَشِيِّ لِلصَّائِمِ،١/٧٥ ؛ سنن ابن ماجة ، باب السواك ، ١/٣٧٥

٤- عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ- : " إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ " "[٢]

ومما سبق يتبن لنا أن القرآن الكريم وسنة النبي -ﷺ- أكدا على أن الإسلام دين يتميز بأنه دين اليسر والسماحة ورفع الحرج والمشقة فلا عسر فيه، ولا أغلال ولا آصار، وهذه ميزة للإسلام لا يشاركه فيها دين آخر.

---

[١] - صحيح البخاري ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم ٣٥٦٠ ؛ صحيح مسلم ، بَابُ مُبَاعَدَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ، حديث رقم ٢٣٢٧ ؛ موطأ الإمام مالك ،٧٣/٢، حديث رقم ١٨٨٢

[٢] - مسند الإمام أحمد ٢ / ١٠٨ حديث رقم ٥٨٦٦.

المبحث الثاني

بعض مظاهر التيسير والسماحة في الإسلام

إن دين الإسلام دين سماحة ويسر في عقيدته وعباداته ومعاملاته وآدابه وسائر تشريعاته ويمكن أن نشير إلى بعض هذه المظاهر في الآتي :

- **من سماحة الإسلام ويسرة المسح على الخفين في الطهارة بدل عن غسل الرجلين في الوضوء وهو جائز في المذاهب الأربعة في السفر والحضر، للرجال والنساء تيسيراً على المسلمين** [1]
- **عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، قَالَ: بَالَ جَرِيرٌ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ ، فَقِيلَ : تَفْعَلُ هَذَا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- بَالَ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ"**[2]
- **ومن سماحة الإسلام ويسرة أن شرع الله -ﷻ- لنا التيمم عند فقد الماء والعجز عن استعمال الماء**[3] **، قال تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[4].
- **عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "**[5]

---

[1] – انظر المغني شرح مختصر الخرقي، ١٧٤/١ ؛ انظر التاج والإكليل لمختصر خليل ٤٦٥/١

[2] – صحيح مسلم ، باب المسح على الخفين، حديث رقم ٥٤٣.

[3] – المقدمات الممهدات ١١١/١؛ التلقين في الفقه المالكي، ٢٩/١ ؛ وانظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٤٤/١

[4] – سورة المائدة ٦.

[5] – صحيح البخاري، بَابُ الصَّلاَةِ عَلَى النُّفَسَاءِ وَسُنَّتِهَا حديث رقم٣٣٥؛ صحيح مسلم ،باب جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، حديث رقم١٠٩٩.

- ومن سماحة الإسلام ويسره مشروعية الجمع[1] والقصر[2] في الصلاة أثناء السفر أو المطر أو المرض، دفعا للمشقة والحرج الذي قد يتعرض له المسلم، والتيسير عليه في حقوق الله تعالى حيث قصرت الصلوات الرباعية إلى ركعتين فقط، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ"[3].
- ومن سماحة الإسلام ويسره أن فرض الله علينا الزكاة تحقيقاً للتكافل أو الضمان الاجتماعي وعوناً للفقراء والمحتاجين، وتطهيراً النفس من داء الشح والبخل، وصيانة للمال، ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [4]، وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله -ﷺ- :" حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء[5]
- ومن سماحة الإسلام ويسره أن الصيام لم يفرض إلا في شهر واحد من السنة وهو شهر رمضان، وفيه تغلق أبواب النار، وتفتح أبواب الجنة وتصفد فيه الشياطين، عَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ رَمَضَانَ ، قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ ، مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -ﷺ- ، قَالَ : فَلَمَّا رَآهُ عُتْبَةُ هَابَهُ فَسَكَتَ . قَالَ : فَحَدَّثَ عَنْ رَمَضَانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ : فِي رَمَضَانَ تُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ قَالَ: وَيُنَادِي فِيهِ مَلَكٌ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَبْشِرْ ، يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، حَتَّى يَنْقَضِيَ رَمَضَانُ[6]، وأن من صامه وقام ليلة القدر فيه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -

---

[1] – حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٣٦٨/١

[2] – البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ٢٢٦/١ ؛ المدونة٢٠٦/١

[3] – مسند أحمد، حديث رقم ١٤١٣٩ ، ٤٤/٢٢. ؛ سنن أبو داود، بَابٌ إِذَا أَقَامَ بِأَرْضِ الْعَدُوِّ يَقْصُرُ، حديث رقم ١٢٣٥.

[4] – الذاريات١٩.

[5] – شعب الإيمان ٢٨٢/٣

[6] – مسند الإمام أحمد ، حديث رقم ١٨٧٩٥،٣١٢/٤

ﷺ- : "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[١]

- ومن يسر الإسلام وسماحته أنه من أكل أو شرب خطأً أو ناسيًا في رمضان فإنه يكمل صومه، ولا حرج عليه[٢]، فإنما أطعمه الله وسقاه، يقول -ﷺ-:عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : " مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ"[٣] .

- ومن سماحة الإسلام ويسره جواز الإفطار عند السفر أو المرض، أو الحمل أو الرضاع أو الهرم أو إرهاق الجوع والعطش أو الإكراه[٤].

- ومن سماحة الإسلام ويسره أن فرض علينا الحج في العمر مرة واحدة، لما فيه من مشقة وعناء، فيصعب على المؤمن أن يؤديه كل عام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:" خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ[٥].

- ومن اليسر والسماحة في الإسلام ، أن الله – تعالى – جعل الحج سببًا لمغفرة الذنوب والخطايا، وقد وعد الرسول -ﷺ- الحاج بالجنة وأنه يرجع كيوم ولدته أمه، عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ:" مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"[٦]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –

---

[١] – صحيح البخاري، بَابٌ: صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنَ الإِيمَانِ حديث رقم٣٨؛ صحيح مسلم ، باب جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، حديث رقم١٠٩٩

[٢] – المغني شرح مختصر الخرقي ، ٢٣/٣

[٣] – صحيح البخاري، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان حديث رقم٦٦٦٩.

[٤] – الدر المختار٣٢١/٢؛ بداية المجتهد:١/ ٢٩٥

[٥] – صحيح مسلم، بَابُ فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ، حديث رقم ٣٢٣٦.

[٦] – صحيح البخاري، بَابُ فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ، حديث رقم ١٥٢١ .

ﷺ- قَالَ: "العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ"[1].

- ومن سماحة الإسلام ويسره أن حرم الربا الذي فيه ظلم للناس واستغلال لظروفهم، وبالتالي فهو سبب لزرع الأحقاد والضغائن بين أبناء المجتمع وسبب زيادة فقر الفئات المستضعفة، وتضخّم ثروات الفئات الغنية التي تملك رؤوس الأموال ، قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[2]، وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[3]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ"[4]

- ومن سماحة الإسلام ويسره أن قتل النفس بغير حق يعد من أكبر الجرائم وأعظمها عند الله تعالى، قال تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5]، ليس هذا فحسب بل جعل الله – تعالى – قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعًا، وإحياء نفس بمثابة إحياء لجميع الناس، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [6] .

ويقول -ﷺ- : " لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ "[7].

---

[1] – صحيح البخاري، بَابُ وُجُوبِ العُمْرَةِ وَفَضْلِهَا، باب رقم١٧٧٣، ص٢٨٥؛ صحيح مسلم، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ، حديث رقم ١٣٤٩.

[2] – البقرة ٢٧٦.

[3] – البقرة ٢٧٨

[4] – صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}حديث رقم٢٧٦٦؛ صحيح مسلم، باب ما جاء في الكبائر، حديث رقم ١٧٥.

[5] – الأنعام ١٥١

[6] – المائدة ٣٢

[7] – سنن النسائي، حديث رقم ٣٤٣٥، ٤١٧/٣

المبحث الثالث

صور من سماحة الإسلام ويسره في التعامل مع غير المسلمين

ضرب الإسلام لنا أروع المثل في سماحته ويسره في التعامل مع غير المسلمين، فسماحة الإسلام ويسره في التعامل مع غير المسلمين رد على من يدعون أن الإسلام دين الغلو والتطرف والإرهاب والعنف والقهر والظلم.

وهذه بعض من صور سماحة الإسلام ويسره في التعامل مع غير المسلمين.

أولاً- رحمة الإسلام الواسعة التي شملت جميع الخلق:

- قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [1]، قال الألوسي:" كُلَّ شَيْءٍ أي شأنها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في الدنيا بنعمتي"[2]

ونفى الله -ﷻ- رحمته عمن لم يرحم الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :"لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ"[3]

وقد توسعت رحمة الإسلام حتى شملت الحيوان والطير فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"[4]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: "دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ"[5]

وعنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ،

---

[1] - الأعراف ١٥٦

[2] - روح المعاني ٧٢/٥

[3] - صحيح البخاري ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى}، حديث رقم ٧٣٧٦ .

[4] - صحيح البخاري ، بَابُ فَضْلِ سَقْيِ المَاءِ، حديث رقم ٢٣٦٣ .

[5] - صحيح البخاري ، بَابٌ: خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ، حديث رقم ٣٣١٨ .

فَجَاءَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَقَالَ: "مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا". وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: "مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟" قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ"[1]

ثانياً- إن الإسلام لا يُجبر أحدٌ من الكفار على الدخول في الإسلام .

- قال تعالى:﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

أَيْ: لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ .... بَلْ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَشَرَحَ صَدْرَهُ وَنَوَّرَ بَصِيرَتَهُ دَخَلَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ، وَمَنْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُهُ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ مُكْرَهًا مَقْسُورًا[3]

ثالثاً- إن الله -ﷻ- جعل لأهل الكتاب منزلة خاصة حيث نهى عن مجادلتهم في دينهم إلا بالحسنى: قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[4]

قال المراغي:" إن أهل الكتاب قد اعترفوا بالله وأنبيائه، لكنهم أنكروا نبوة محمد -ﷺ- وقالوا إن شريعتهم باقية على وجه الدهر لا تنسخ بشريعة أخرى، فينبغي إقناع مثل هؤلاء بالحسن من القول، ولفت أنظارهم إلى الأدلة الباهرة الدالة على نبوته وصدق رسالته بما يكون لهم فيه مقنع، وبما لو تأملوا فيه وصلوا إلى الصواب، وأدركوا الأمر على الوجه الحق، إلا من ظلموا منهم وعاندوا ولم يقبلوا النصح والإرشاد، فاستعملوا معهم الغلظة في القول، والأسلوب الجافّ في الحديث، لعلهم يثوبون إلى رشدهم، ويتأملون فيما يقنعهم من الحجج والبراهين"[5]

---

[1] - سنن أبو داوود ، باب في كراهية حرق العدو بالنار، حديث رقم ٢٦٧٥ .

[2] - البقرة ٢٥٦

[3] - تفسير القرآن العظيم ٦٨٢/١ .

[4] - العنكبوت ٤٦

[5] - تفسير المراغي٤/٢١

رابعاً- إن الإسلام أباح الأكل من ذبائح أهل الكتاب، قال تعالى:﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾[1] ، قال ابن كثير: "هذا أمر مجمع عليه بين العلماء، أن ذبائحهم حلال للمسلمين، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه ما هو منزه عنه-ﷻ- [2]

خامساً- إن الله - ﷻ - أحل للمسلمين نكاح العفيفات من أهل الكتاب إذا خلون من الموانع مما هيأ لهم الاندماج في المجتمع الإسلامي: قال تعالى:﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [3]

سادساً- إن الرسول -ﷺ- أوصى بالقبط خيرًا ، عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ-ﷺ- قَالَ: "إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا"[4]، وفي صحيح مسلم "ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا".[5]

سابعاً- إن الرسول -ﷺ- كان يعامل مخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء والأخذ والعطاء، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ"[6]

ثامنًا- من صور سماحة الإسلام أن اختلاف الدين لا يُلْغي حقَّ ذوي القربى .

---

[1] - المائدة ٥

[2] - تفسير القرآن العظيم ٣/٤٠

[3] - المائدة ٥

[4] - المعجم الكبير ١٩/٦١

[5] - صحيح مسلم - بَابُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِ مِصْرَ ، حديث رقم ٢٥٤٣

[6] - صحيح البخاري، بَابُ مَا قِيلَ فِي دِرْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالقَمِيصِ فِي الحَرْبِ ، حديث رقم٤٤٦٧ .

قال تعالى:﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [1] ، وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» [2]، وعَنْ يَحْيَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَعُودُهُ...[3].

تاسعاً- من سماحة الإسلام ويسره أن الرسول-ﷺ- قبل هدايا المشركين فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ مَلِكَ ذِي يَزَنَ "أَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- حُلَّةً أَخَذَهَا بِثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا، أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ نَاقَةً فَقَبِلَهَا"[4]

عاشرًا – إن الإسلام حرم دماء أهل الذمّة والمعاهدين ، إذا وَفَّوْا بذمتهم وعهدهم

قال رسول الله-ﷺ-:" من قَتَل معاهَدًا لم يَرَحْ رائحةَ الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً " [5] ، وقال-ﷺ-:" أيُّما رجلٍ أمِنَ رجلاً على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء ، وإن كان المقتولُ كافراً "[6]

حادي عشر- ومن صور سماحة الإسلام ويسره أن الرسول -ﷺ- عاد غلاماً من اليهود كان مريضاً، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- دَخَلَ عَلَى غُلَامٍ مِنَ الْيَهُودِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: «أَطِعْ رَسُولَ اللهِ» فَقَالَ:" أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ"[7]

---

[1] – لقمان ١٥

[2] – صحيح البخاري ، باب الهدية للمشركين، حديث رقم ٢٦٢٠ ، صحيح مسلم ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، حديث رقم١٠٠٣

[3] – السنن الكبرى رقم ٣١٦٦.

[3] – أخرجه الإمام أحمد ب ممن تؤخذ الجزية ، حديث رقم، ٨٧١٦

[4] – سنن أبو داوود ، بَابٌ فِي لُبْسِ الصُّوفِ وَالشَّعَرِ، حديث رقم ٤٠٣٤،٤/٤٤

٥ – صحيح البخاري بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ حديث رقم ٣١٦٦.

[6] – أخرجه الإمام أحمد رقم ٢١٩٤٦ ، ٢١٩٤٧ ، ٢١٩٤٨) ، وابن ماجه (رقم ٢٦٨٨) .

[7] – سنن النسائي، باب عَرْضُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمُشْرِكِ حديث رقم ٨٥٣٤،٨/٩

المبحث الرابع

شهادات غربية منصفة لسماحة الإسلام ويسره

منذ فجر الدعوة الإسلامية كانت شهادة خصومها ظاهرة بينة إذ رأوا من سماحة هذا الدين ويسيره ما بهر عقولهم وأخذ بألبابهم ورأوا من سلوك أهله ما دعاهم إليه، فاستجابت نفوس الكثيرين إليه وإلى أهله وإن لم يؤمنوا به، فدون التاريخ شهاداتهم له ولأهله بحسن المعاملة والسماحة العظيمة .

ولسوف نعرض لشهادة أربعة من المستشرقين على سماحة الإسلام ويسره وهم:(ول ديورانت - زيغريد هونكه - غوستاف لبون- توماس آرنولد)

١- ول ديورانت(١)

يقول في معرض حديثه عن سماحة الإسلام مع أصحاب المعتقدات المختلفة : "ولقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارًا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص وأداء فرضة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير...ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون سن البلوغ، والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والعمى الشديد والفقر، وكان الذميون يعفون في نظير هذه الضريبة من الخدمة العسكرية أو إن شئت فقل لا يقبلون فيها- ولا تفرض عليهم الزكاة البالغ قدرها اثنين ونصف في المائة من الدخل السنوي، وكان لهم على الحكومة أن تحميهم"(٢)

---

١ - ولد "وِل ديورَانْت" في "ثورث آدمز" من أعمال "ماساشوست" سنة ١٨٨٥؛ وتلقى تعليمه في جامعة كولمبيا بنيويورك؛ وفي سنة ١٩١٣ ركز اهتمامه في الدراسة ليحصل على الدرجة الجامعية من جامعة كولمبيا ؛ ونال درجة الدكتوراه من تلك الجامعة سنة ١٩١٧، وأخذ يعلم الفلسفة في جامعة كولمبيا عاماً واحداً؛ ثم بدأ يلقي في سنة ١٩١٤- في الكنيسة المسيحية الكائنة في شارع أربعة عشر وفي الطريق الثاني بنيويورك -بدأ يلقي هناك تلك المحاضرات في الفلسفة والأدب التي أعدته لإخراج كتابيه" قصة الفلسفة "و "قصة الحضارة" .

٢ - قصة الحضارة لوِل ديورَانت ١٣٠-١٣١

ويقول في موضع آخر منصفًا لسماحة الإسلام " وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين، وأصبحوا مرة أخرى يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وأثروا كثيرًا في ظل الإسلام وفي آسية، ومصر، وأسبانيا، كما لم يثروا من قبل تحت حكم المسيحيين، وكان المسيحيون في بلاد آسية الغربية، خارج حدود الجزيرة العربية، يمارسون شعائر دينهم بكامل حريتهم، وبقيت الكثرة الغالبة من أهل بلاد الشام مسيحية حتى القرن الثالث الإسلامي[١]

ويتحدث عن سماحة الإسلام ويسره وأنه سبب لإسلام معظم المسيحيين والزرادشتيين، والوثنيين قائلًا :" وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، وجميع الزرادشتيين، والوثنيين إلا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود في آسية، ومصر وشمالي أفريقية"[٢]

٢- زيغريد هونكه[٣] **:**

تؤكد المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) على سماحة الإسلام وأنه لم يفرض على الشعوب المغلوبة اعتناق الإسلام على الرغم من أنهم ذاقوا أبشع أنواع التعصب قبل الإسلام قائلة:" العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها سمح لهم جميعًا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى

---

[١] – قصة الحضارة لول ديورَانت ١٣١ –١٣٢

[٢] – المرجع السابق ١٣٣

[٣] – مستشرقة ألمانية أحبت العرب ، وصرفت وقتها كله باذلة الجهد للدفاع عن قضاياهم والوقوف إلى جانبهم ، وهي زوجة الدكتور شولتزا ، المستشرق الألماني ، وقد عاشت مع زوجها عامين في مراكش ، كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية ، وفي صيف ١٩٦١ ، دعت الحكومة العراقية ، المؤلفة وزوجها لزيارة بغداد تقديرا لهما ، وفي صيف عام ١٩٦٢ ، زارت هونكه وزوجها الجمهورية العربية المتحدة بناء على دعوة حكومتها لها ، معربة عن تقديرها وعرفانهما بالجميل ، لجهودهما المتواصلة في خدمة العرب .(شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه انظر المقدمة صـ٧-٨)

التسامح ؟. إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا أنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية، فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف".[١]

وتؤكد على أن ما يدعيه البعض من أن الإسلام دين تعصب ووحشية إنما هو كذب وخرافة وإنما هو دين تسامح قائلة: " لعل من أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم ، حتى إن الملك الفارسي كيروس نفسه قال : " إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين " فيما يدعيه بعضهم من اتهامات بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة ، والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عددًا ضئلًا من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب.[٢]

وتقول عن سماحة الإسلام :" لقد أعطى العرب لمن يعتنقون الإسلام من شعوب البلدان التي فتحوها حرية الديانة وحريتهم كمواطنين، وهذه الشعوب هي التي شاءت الدخول في الإسلام ليفيدوا من المزايا المادية والاجتماعية التي تمتع بها المسلمون ، دون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد تشرق عليه الشمس بدفئها ، ولم تظهر أية عصبية دينية أو إرغام على انتحال الإسلام إلا فيما بعد وتحت تأثير عوامل أخرى لا تمت إلى الدين بصلة ... فحلم العرب وشهامتهم حتى مع أعدائهم والمخالفين لهم في العقيدة ليست بجديدة عليهم ، فجذورها تمتد بالفتى العربي إلى ما قبل عصر الإسلام[٣].

ثم تتحدث عن تسامح عمرو ابن العاص عند فتحه للإسكندرية قائلة :" إن عمروا فاتح الإسكندرية ، هو نفسه عمرو الذي ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحاته ، وحرم النهب والسلب والتخريب على جنوده ، وعمل ما كان غريبًا عن فهم الشرقيين القدماء المسحيين على السواء: لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدينية

---

[١] – شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه صـــ٣٦٤

[٢] – شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه صـــ٣٥٧-٣٥٨

[٣] – المرجع السابق صـــــــ ٣٦٤-٣٦٥

المتوارثة .....هذه صورة حية لتسامح المسلمين وسماحة عمرو، وهي ليست بالوعود الجوفاء ، فقد احترمها المسلمون نصًا وروحًا. [١]

٣- غوستاف لبون[٢]:

يصف غوستاف لبون تسامح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند دخوله لبيت المقدس فاتحًا قائلًا: " فلما دخل القدس أبدى من التسامح العظيم نحو أهلها ما أمنوا به على دينهم وأموالهم وعاداتهم، ولم يفرض سوى جزية زهيدة عليهم، وأبدى العرب تسامحاً مثل هذا تجاه المدن السورية الأخرى كلها، ولم يلبث جميع سكانها أن رضوا بسيادة العرب، واعتنق أكثر أولئك السكان الإسلام بدلاً من النصرانية، وأقبلوا على تعلم اللغة العربية"[٣].

ويصف دخول صلاح الدين بيت المقدس ظافرًا؛ فيقول: "ولم يشأ صلاح الدين أن يفعل في الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون من ضروب التوحش فيبيد النصارى عن بَكْرَة أبيهم، فقد اكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم مانعًا سلب شيء منهم"[٤]

ويتحدث عن أخلاق المسلمين وما يتميزون به من تسامح قائلًا: "واستطاع العرب أن يحوِّلوا إسبانية ماديّا وثقافيّا في بضعة قرون، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوربية، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانية على هذين الأمرين؛ بل أثَّروا في أخلاق الناس أيضًا، فهم الذين عَلَّموا الشعوب النصرانية، وإن شئت فقل حاولوا أن يُعلِّموها، التسامحَ الذي هو أثمن صفات الإنسان، وبلغ حِلْم عرب إسبانية نحو الأهلين المغلوبين مبلغًا كانوا يسمحون به لأساقفهم أن يَعقِدوا مؤتمراتهم الدينية، كمؤتمر أشبيلية النصراني، الذي عُقد

---

[١] – المرجع السابق صـــ٣٦٣

[٢] – ولد سنة 1841 م ، ومات سنة 1931 م هو طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشـــمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره :حضـــارة العرب وحضارات الهند و"باريس ١٨٨٤" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس "و" سر تقدم الأمم" و" روح الاجتماع" الذي كان انجازه الأول، أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الـــذين امتـــدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبـــا، حيـــث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي

[٣] – حضارة العرب لغوستاف لبون صـــ١٦٥

[٤] – المرجع السابق ، صـــ٣٤١

في سنة ٧٨٢ م ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عُقِد في سنة ٨٥٢م، وتُعد كنائس النصارى الكثيرة التي بَنَوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم"[١].

ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغير المسلمين فيقول:" وكان عرب أسبانيا -خلا تسامحهم العظيم- يتصفون بالفروسية المثالية؛ فيرحمون الضعفاء، ويرفقون بالمغلوبين، ويقفون عند شروطهم، وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوروبا منهم مؤخرا فتؤثِّر في نفوس الناس تأثيرًا لا تؤثره الديانة[٢].

٤- توماس آرنولد([٣]) :

أكد توماس آرنولد على تسامح المسلمين حين سمحوا لمخالفيهم في الدين أن يؤدوا شعائر دينهم دون التعرض لهم قائلًا:" أما ولايات الدولة البيزنطية التي سرعان ما استولى عليها المسلمون ببسالتهم ، فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية والنسطورية فقد سمح لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد"[٤]

ويرى توماس آرنولد أن الإسلام انتشر بسماحته ويسره ولم ينتشر بحد السيف كما يدعي البعض وفي هذا يقول " وإذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسحيين في صدر الحكم الإسلامي إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق"[٥]

---

[١] - نفسه ، صـــ٢٩٠-٢٩١

[٢] - نفسه ، صـــ٢٩١

[٣] -مستشرق بريطاني شهير، ولد عام 1864م ، وتوفي عام 1930م ، بدأ حياته العلمية في جامعة كمبردج، حيث أظهر حبه للغات فتعلم العربية، وانتقل للعمل باحثاً في جامعة (عليكرا) في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور، وفي عام ١٩٠٤ عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وكان -في الوقت ذاته- عضو هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى. عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصرية عام ١٩٣٠م.

[٤] - الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد صـــ٧٤

[٥] - المرجع السابق أرنولد ص٨٨

ويذهب توماس آرنولد أن اعتناق المسيحيين للإسلام كان عن اختيار وإرادة حرة قائلا:" ومن هذه الأمثلة التي قدمناها آنفا عن ذلك التسامح، الذي بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة، واستمر في الأجيال المتعاقبة، نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار، وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح [١].

ويقول:" ولكننا لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي"[٢]

ويقول أيضا: "لما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة" [٣] .

ويقول أيضًا " ويظهر أن حالة القبط في الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة نوعًا ما، وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين بل قد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح"[٤]

ويقول :" وإن انحلال الكنيسة في بطء شديد لدليل على التسامح الذي لابد أن تكون قد عوملت به هذه الكنيسة فقد وجد بعد الفتح الإسلامي بثلاثمائة سنة تقريبًا ما يقرب من أربعين أسقفية كانت لا تزال باقية هناك "[٥]

ويتحدث (توماس آرنولد) عن تسامح المسلمين وأثره في إسلام المسحيين قائلًا:" أما عن حمل الناس على الدخول في الإسلام أو اضطهادهم – بأية وسيلة من وسائل الاضطهاد في الأيام الأولى التي أعقبت الفتح العربي– فإننا لا نسمع عن ذلك شيئا، وفي

---

[١] – نفسه ، ص٦٩–٧٠

[٢] – نفسه، صـــ٩٨–٩٩

[٣] – نفسه، صـــ٨١

[٤] – الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد صـــ١٢٣–١٢٤

[٥] – المرجع السابق ، صـــ١٤٩

الحق إن سياسة التسامح الديني التي أظهرها هؤلاء الفاتحون نحو الديانة المسيحية كان لها أكبر الأثر في استيلائهم على هذه البلاد " [١]

ويقول في هذا السياق :" إن سياسة التسامح التي سارت عليها الحكومة الإسلامية نحو رعاياها المسحيين في أسبانيا وحرية الاختلاط بين المتدينين قد أدت إلى شئ من التجانس والتماثل بين الجماعتين وقد كثر التصاهر بينهم"[٢]

---

[١] – نفسه، صـــ١٥٧

[٢] – نفسه، صـــ١٥٩

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد -ﷺ- وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار وعلى من أتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

وبعد،،

فبعد الحديث عن موضوع سماحة الإسلام ويسره نلخّص في هذه الخاتمة أهمّ ما أسفرت عنه نتائج هذا البحث:

١- إن من خصائص الإسلام السماحة واليسر، واللطف واللين، فهو ليس فظًا غليظًا، ولا عنيفًا متطرفًا، ولا إرهابيًا، ولا متشددًا ، ولا معقدًا ولا متعنتًا.

٢- إن مبدأ اليسر والسماحة مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو مأخوذ من النصوص الواردة في كتاب الله -ﷻ- وسنة نبيه -ﷺ- لا ينكره إلا الجاهلون بأحكام الإسلام وحقيقة رسالته.

٣- إن الدين الإسلامي بمجمله قائم على اليسر والسماحة ورفع الحرج في عقيدته وعباداته ومعاملاته وآدابه وسائر تشريعاته .

٤- من مظاهر التسامح في الإسلام أنه دين اليسر والسماحة ورفع الحرج والمشقة فلا عسر فيه، ولا أغلال ولا آصار.

٥- إن سماحة الإسلام ويسره يبرهن على أن الإسلام بريء من العنف والتطرف والإرهاب.

٦- إن سماحة الإسلام ويسره شملت رفقه بغير المسلمين وعدم إكراههم على اعتناقه والتسامح معهم في كثير من القضايا والأحكام ومنحهم كثيرا من الحقوق.

٧- من مظاهر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب إباحة أكل ذبائحهم ومصاهرتهم والتعامل معهم في البيع والشراء والأخذ والعطاء .

٨- ومن سماحة الإسلام ويسره الوصية بأهل الكتاب والعهد والمستأمنين، وعدم التعرض لهم بظلم أو أذى.

٩- إن من أعظم صور تسامح الإسلام ويسره مع غير المسلمين أن حرم دماء أهل الذمّة والمعاهدين، إذا وَفَّوْا بذمتهم وعهدهم والعفو عنهم وعن إساءتهم.

١٠- إن مما يؤكد سماحة الإسلام ويسره شهادات بعض مفكري الغرب التي أدلوا بها إنصافًا للحقيقة ؛ لما رأوه في الإسلام من عدل وتسامح ويسر لا مثيل له.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص

١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢- بداية المجتهد لابن رشد ،دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

٣- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير للصاوي، دار المعارف، د- ت .

٤- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة لابن رشد ، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان،ط٨، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥- التاج والإكليل لمختصر خليل لمحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي ، دار الكتب العلمية ،ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م .

٦- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤م.

٧- التعريفات للجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ.

٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م.

٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق ،ط٢ ، ١٤١٨هـ.

١٠- التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد- بيروت،ط١٠- ١٤١٣هـ.

١١-التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي ،دار الفكر – دمشق،ط١، - ١٤٢٢ هـ.

١٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ،ط١٢، ١٩٩٨م.

١٣- التلقين في الفقه المالكي لعبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، ، تحقيق أبو أويس محمد بو خبزة الحسني التطواني، دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ،تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٦- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدسوقي ، دار الفكر، د- ت.
١٧- حضارة العرب لغوستاف لبون، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٣م.
١٨- الدر المختار لابن عابدين ، دار الفكر- بيروت،ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٩- الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد ، ترجمه إلى العربية وعلق عليه حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧١م.
٢٠- روح المعاني للألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ.
٢١- سنن أبي داوود لإِمَام أبي داوود، تحقيق محمد محيي الدين ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د - ت.
٢٢- سنن ابن ماجة لابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د – ت .
٢٣- سنن الترمذي للترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.
٢٤- سنن النسائي للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٥- شعب الإيمان للبيهقي ، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١، ١٤١٠هـ.
٢٦- شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه، ، نقله عن الألمانية، فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه ، مارون عيسى الخوري ، دار الجبل بيروت ، ط٨، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٢٧- صحيح البخاري للبخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ .

٢٨- صحيح مسلم للإمام مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د- ت.

٢٩- القاموس المحيط للفيروزآبادي، مكتب تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٣٠- قصة الحضارة لولِ ديورَانت ، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣١- لسان العرب لابن منظور، دار صادر- بيروت ،الطبعة الثالثة - ١٤١٤هـ.

٣٢- محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت،ط١- ١٤١٨ هـ.

٣٣- المدونة، للإمام مالك بن أنس، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٣٤- مسند أبي داود الطيالسي لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي،ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٣٥- مسند أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل ،تحقيق السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب - بيروت.ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

٣٦- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـ.

٣٧- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الجيل ،١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٨- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،ط٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٩- المغني شرح مختصر الخرقي لابن قدامة المقدسي، دار إحياء التراث العربي،ط١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٤٠- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي- بيروت،ط٣ - ١٤٢٠ هـ.

٤١- المقدمات الممهدات لابن رشد، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م.

٤٢- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم لنخبة من العلماء، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط١٤٢٥هـ.